بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة ام القرى

مكتبة الملك عبدالله بن عبدالعزيز الجامعية

قسم المخطوطات

بداية المخطوطة

بسم الله الرحمن الرحيم

شرح مقام التوكل و وصف احكام المتوكلين

وهو الرابع من مقامات اليقين

التوكل من اعلا مقامات اليقين واشرف احوال المقربين قال الله سبحانه ان الله يحب المتوكلين فجعل المتوكل حبيبه والقى عليه محبته وقال تعالى وعلى الله فليتوكل المتوكلون فرفع المتوكلين اليه وجعل مزيدهم منه وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وروينا ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية قال يا اذرلوان الناس اخذوا بهذه الآية لكفتهم ومن يتوكل الله فهو حسبه اي كافيه متاسواء من كان الله كافيه فهو شافيه ومعافيه فلا سؤال عما هو فيه وقد امر الله بالتوكل وقرنه بالايمان بذلك بذلك انهما شيئان اذ التوكل على الوكيل هو من الايمان بالمؤمن لانه من جملته الايمان وهو اليقين وبشاهد الجملة وهو حسبه حسبه ونعم الوكيل فامر بالتوكل قولا وفعلا بعد الاخبار عن جملته بالتوكل عليه وقال تعالى قل هو الرحمن امنا به وعليه توكلنا مع اشتراط التوكل للايمان بعدا لامر به في قوله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين الى قوله ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فلم يخرج عموم المسلمين من شرط عموم التوكل كما لم يخرج خصوص المؤمنين من شرط وجود الاسلام وكما دخل من حقا مسلم لابد عما كذلك كل مسلم صدقا يكون على الله متوكلا فقد صار المتوكل من عباد الرحمن الذين اضافهم الى وصف الرحمة ومن عباد التخصيص الذين ضمن لهم الكفاية وهم الذين وصفهم في الكتاب بالسكينة والهون وتعتهم بالسلامة والخوف وذكرهم بالسجود والقيام ومدحهم بالاقتصاد والقوام في قوله عز وجل وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا الى آخر ذكرهم فتدبر ولي هذه الآية الله لهم في هذه الدار المهمات ووقاهم بتنويهم امورهم اليه السيئات بقوله اليس الله بكاف عبده مع قوله وافوض امري الى الله فوقاه الله سيئات ما كسبوا وليس هو لا من عبيد العدد قط الذين قال الله تعالى ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا وقال بعض الصحابة وغيره من التابعين ايضا التوكل نظام التوحيد وجماع الامور وقد مدح الله تعالى المتوكلين في كتابه وذكره ووصف الصابرين في مايه موضع وهو طريق الى التوكل وحال منه ولا ينال مقامه قوته حتى قال بعض الاشياخ عن الجنيد انه قال غاية الصبر وتصحيحه ان يورث الله للصابر التوكل قال الله تعالى الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون فاكد مقام الصبر بالتوكل ليكون فيه تقرب الروح الغرر حالا منه ووصفا دونه وحدثونا عن بعض السلف قال رايت بعض العباد من اهل البصرة في المنام فقلت ما فعل الله بك فقال غفر لي وادخلني الجنة قلت فاي الاعمال وجدت هناك افضل قال التوكل ونصر الامل فعليكما بهما وقال ابو الدرداء ذروة الايمان الاخلاص للمتوكل الله تعالى وكان ابو محمد سهل رحمه الله يقول لبس في المقامات اعز من التوكل

لتخصيص

الشوط

ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وكذلك امر نبيه صلى الله عليه وسلم بالتاسي بهم
في قوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فقال وذرع اذاهم وتوكل على الله لقوله عز وجل
ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك فيل من التكذيب والاذا مع قوله تعالى فاصبر كما صبر
اولوا العزم من الرسل وقال بعض العارفين لا يثبت لاحد مقام في التوكل حتى يستوي عنده
المدح والذم من الخلق فيسقطان حتى يودان فيصبر على الاذا يستخرج بذلك منه رفع السكون
الى الخلق والنظر الى علم الخالق الذي سبق ثم التوكل في الصبر على حسن المعاملة وترك الطلب
للمعاوضة حياء من الله واجلالا له اوخوفا منه وحبا له وقد وصفهم بذلك ظاهرا وباطنا
فالظاهر قوله نعم اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون فلما عملوا صبروا على عملهم
ثم توكلوا عليه في صبرهم فاجزل ذخرهم عنده منه فيما اخبر عنهم انما نطعمكم لوجه الله
لا نريد منكم جزاء ولا شكورا فقطعهم الخوف عن الطلب وفي قوله منكم وجه غريب وهو
باطن الآية من اللغة قد يكون بمعنى لا نريد بدلا منكم عوضا المعنى لا نريد منه عوضا بدلا منا
فعلنا بكم كقوله ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون ليس انه يجعل من البشر ملائكة
ولكن المعنى بدلا منكم وهذا احد الوجهين في الآية والوجه الظاهر ان يكون الكاف والميم
اسما للمطعمين اي لا نريد من عندكم جزاء الى مكافاة ولا شكورا حسن ثناء فلما لم يطلبوا
العوض من عنده لانهم فعلوه لوجهه ولا اراد التعويض من اجلهم ولا المكافاة من عندهم
وقالوا انا نخاف من ربنا جزاءهم افضل الجزاء واحسن لهم على ايه العطا فقال وسقاهم ربهم
شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا اذ لم تطلبوا منا عليه جزاء ولا شكورا
جعل جزاءهم نصيبا منه شرابا طهورا وجعل سعيهم لديه مشكورا في التوكل عليه في تسليم الحكم
والرضا به في القسم ومنه قول يعقوب صلى الله عليه وسلم حين سلم الحكم توكلا على الوكيل
الحاكم ان الحكم الا لله عليه توكلت لان العبد اذا كان مريدا لمراد نفسه من الاشياء وقد
لا يوجد في كل شي اراده ثم هو على يقين من ارادة مولاه لكل شي وان كل شي مراد
لوكيله فينبغي ان يريد ما يريد مولاه اذ لم يقوله ما يريد بل ينبغي ان يكون مراد مولاه
احب اليه واثبت عنده لان ما اراده مولاه مما لا عقوبة على العبد فيه ولا سخط لمولاه به فانه
محبوب لله تعالى مختار له ولتكن محبة الله متقدمة لديه على محبته هو واختياره اذ لله
عاقبة الامور وقد شرف المتقين ونبههم عن امور العاجلة الدنيه بقوله تعالى والعاقبة
للمتقين وكما قال في اخبار موسى اذا لم يكن ما تريد فاردد ما يكون فان ابيت الا ما
تريد ولا يكون الا ما اريد وروينا عن الحسن البصري رحمه الله وددت ان اهل البصرة
في عيالي وان حبة بدينار وهذا من نهاية التوكل وليس ذلك الا في تسليم الاحكام
والرضا بها كيف جرت بهم لان هذا كلام قد جاوز المعقول فلعلهم يطعمهم الموف

وقد كان وهيب بن الورد المكي يقول لو كانت السماء حاسا والارض رصاصا ثم اتيتني
لظننت اني مشرك ويقال من اهتم برزق غد فهي خطية كبيرة عليه وقال سفيان الثوري
اذا اهتم العابد في اول النهار بعشائه كتبت عليه خطية وقد كان سهل يقول ان ذلك
ينقص من صومه وقال اعرف في البصرة مقبرة عظيمة يغدا على موتاها يرزقهم من الجنة بكرة
وعشيا ترون منازلهم من الجنان وعليهم من الغموم والكروب ما لو قسم على اهل البصرة لماتوا ثم قيل
لم قال كانوا اذا تغدوا فاقوا لوا باي شي تتعشوا واذا تعشوا فاقوا لوا باي شي تتغدا وقال مرة
اخرى لم يكن لهم من التوكل والرضا نصيب فهذه المقامات من فضايل التوكل وفوقها ما لا يسع
رسمه في كتاب من مكاشفات الصديقين ومشاهدات العارفين منها انه اعطاهم حق باطلاعه
اياهم على الاسم الذي تعهدوا في كون كل اجل كان توكلا على كينونة الكيان وحيا منه ان يعارضوه
في قدرته او ينازعوه في ملكه او يرغبوا عن تقديره او يباهوه في تكوينه لان تدبيره عند
احكم واتقن وهو بالعواقب اعلم واخبر وهم له اشد اجلالا واعظاما مما تقدر لحن ونعلم
فاما التوكل عليه في الغوث فانه عندهم من فرض التوكل فيستحيون من ذكره مع الوكيل
وكذلك التوكل عليه في تسليم الاقدار حلوها ومرها خيرها وشرها من الله حكمة وعدلا
كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شي بقضا وقدر حتى العجز والكيس وكما قال تعلم
ان ما اخطاك لم يكن ليصيبك وان ما اصابك لم يكن ليخطيك فعند ذلك قال الخليل الاكبر كل
صغير وكبير مستطر فالعلم بهذه الاشيا وطمانينة القلب بها وسكينة العقل عند ورودها
وان لا يضطرب بالراي والمعقول ولا ينازع بالتمثيل والتشبيه فان هذا عندهم من فرايض الايمان
لا يصح ايمان عبد حتى يسلم ذلك كله وليس هذا من التوكل في شي ومن هذا قول ابن عباس
القدر نظام التوحيد فمن وحد الله وكذب بالقدر كان تكذيبه بالقدر نقضا التوحيد فجعل
الايمان بالاقدار كلها انها من الله مشيته وحكما بمنزلة الخيط الذي ينتظم عليه الحب
وان التوحيد منتظم فيه يقول فاذا انقطع الخيط سقط الحب قال لك اذا كذب بالقدر
ذهب الايمان فالتوكل فرض وفضل ففرضه منوط بالايمان وهو تسليم الاقدار كلها للقادر
واعتقاد ان جميعها قضاؤه وقدره الم تر الى ربك كيف انتم بنفسه على نفي الايمان عن من
لم يحكم الرسول فيما اختلف عليه من المعقول فقال فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر
بينهم الى قوله تسليما فكيف لمن لم يسلم الحكم للحاكم المرسل والوكيل الاول واما فضل
التوكل فانه يعون عن مشاهدة الوكيل لانه في مقام المعرفة بدويه عين اليقين كما قال
العبد الصالح فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت فظهرت منه قوة عظيمة يقوى فاخبر
عن عزيز بعزيز فكانه قيل ولم ذاك وانما انت بشر مثلنا ضعيف فقال اني توكلت على الله
ربي وربكم فكانه سيل عن تفسير توكله كيف سببه فاخبر بشاهدته يد الوكيل اخذه بنواصي

في امره تعالى لنبيه عليه السلام

في استواء المدح والذم

في اطعام الوجه لله

مطلب

فالشكور حسن الثناء

مسئلة

مسئلة

في تشريف المتقين

فالتوكل فرض وفضل

العبد الصالح النبي عليه السلام

دواب الارض وقال ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ثم اخبر عن عدله في فعله وقيام حكمته
وقيومية صنعته وان كان اخذ بنواصي العباد في الخير والشر بحكم المراد للنفع والضر للتقريب
والابعاد لاجل باطن العالم وسابق القسم فان دل كله قائم بوصفه مستقيم في عدله وصواب
من حكمه وقال تعالى ان ربي على صراط مستقيم وقال الله سبحانه في فرض التوكل وعلى الله
فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقال في فرضه ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين
وقال في نفله وعلى الله فليتوكل المتوكلون اي يتوكلوا عليه في توكلهم ايضا كما توكلوا عليه
في الاسباب وقال في مثله ان الله يحب المتوكلين

ذكر اثبات الاسباب والوسايط والمعاني الحكمية والقدرية وانها تحكم وتجعل لثبوت الحكم الاول

اعلم ان الله سبحانه ذو قدرة وحكمة فاظهر اشياء عن وصف القدرة واجرا اشياء على معاني الحكمة فلا يسقط المتوكل ما اثبت من حكمته لاجل ما شهد هو من قدرته من قبل ان الله تعالى حكيم فالحكمة صفته ولا يثبت المتوكل الاشياء حاكمة جاعلة نافعة ضارة فيشرك في توحيده من قبل ان الله قادر والقدرة صفته فانه حاكم جاعل نافع ضار لا شريك له في اسمايه ولا ظهير له في احكامه كما قال ان الحكم الا لله ولا يشرك في حكمه احدا وكقوله وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير الشرك الخلط والظهير المعين وكما هو الفاعل لكل شيء وحده لانه هو الاول كذلك هو القابض له المتصرف له بعد ظهوره وحده لانه هو الاخر فالله هدية الحدت في اسمايه فنافي الحق الاول والاخر لانا فاعلين والافعال تظهر عنا وتوجد منا فنحن شهاده لنفوسنا ولا نومن بالغيب والقدرية الحدث في اسم الاول فقالوا الخلق الاول في الشر لانفسنا باستطاعتنا واكتسابنا بنفوسنا والله الاخر بالعقوبة والموحدون قالوا الله الاول بالقضاء والقدر كما هو الاخر بالعقاب والاجر فوحده هو الاول في الاسماء بشهاده التوحيد فيها والحدا الاخر في اسمايه فعند الدهريون بالتوحيد واشرك القدريون في الاستطاعة والقدرة ايضا هون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يوفكون ولله الاسما الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمايه سيجزون ما كانوا يعملون تدبروا ثم ان المتوكل مع شهادته قدرة الله سبحانه على الاشيا وانه منفرد بالتقدير والتدبير قايم بالملك والملوك هو ايضا عالم بوجوه الحكمة في التصريف والتقليب باظهار الاسباب والاواسط لاظهار الاشخاص والاشباح لايقاع الاحكام على المحكوم وعود الثواب والعقاب على المرسوم من حيث كان المتوكل تابعا باحكام الشريعة ملتزما لمقالات العلم مع تسليمه الحكم الاول لله واعترافه ان لا يفعل الا بقدرة الله اذ سمع الله تعالى يقول لا يسال عما يفعل وهم يسالون ولان الله تعالى في جميع ما اظهر اخفا قدرته

في القدرة والحكمة

في الحاد الدهرية

في الحاد القدرية

في استقاء الموحدين

في حكمته تظهرت حكمته في الاشيا العود الاحكام على المظهرين لها وتلتت قدرته في الامر كله اليه والاتقان الصنعة الظاهرة بالصنع الباطن فلذلك قال صنع الله الذي اتقن كل شيء اي صنعة الباطن اتقن صنعته الظاهرة ثم قال واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه اي في جميع ذلك فلعارف التوكل من الصنع الباطن شهاده هو قايم بها وله في الحكمة الظاهرة علم شرع وتسليم امر ورسم هو عامل به وهذا هو شهاده التوحيد في عبادة التفصيل وهو مقام ربانى العلما وكل مومن بالله متوكل على الله ولكن توكل كل عبد على قدر يقينه توكل الخصوص ما قدمناه من ذكر وجود المشاهده ومعاني الرضا بانتفا وجه المصادره لاعتياد الهوا وتوكل العموم ما عقدناه من الايمان بالاقدار خيرها وشرها وقد اخبر الله تعالى انه هو الرزاق كما هو الخلاق وانه هو الحي كما هو المميت وفرق بين هذه الاربع في قرن واحد مع ترتيب الحكم بحكمها نظام القدره فيجد مختلف معناها امر كيف لا تاتلف حكم بها بل كيف يتبعض وصفها الظهور الاسباب والاحل وجود الوسايط والابواب تقال عز وجل الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم فما ليس في الثلثة اخر جاعل ولا مظهر الا الاول الاحد وكذلك ليس في الرابعة من الرزق الا هو الاترى انك لا تقول ابى خلقني وان كان سبب خلقه ولا تقل احياني وماتني وان كانوا اواسط في الاحيا والقتل لان هذا شرك ظاهر اشتهر قبحه فترك ولذلك قال تعالى افرايتم ما تمنون ءانتم تخلقونه ام نحن الخالقون وكذلك قال سبحانه افرايتم ما تحرثون ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون فاضاف الامنا والحرث الينا لانها اعمال ونحن عبدنا عمال ولانها صفاتنا واحكامها عايده علينا واضاف الخلق والزرع اليه لانها ايانه عن قدرته وحكمته وهو الحكيم القادر فاما انزال الماء من المزن وابداع النار الشجر فلا شبهة فيه على عموم لانه فعل الله صرفا بغير يد مخلوقة وكذلك الاولان من التخليق والزراعة لافرق ولكن دخول الشبهات في التوحيد هو لضعف شاهد اليقين كما دخلت على المشركين في الاحيا والاماته لما حاج الكافر فيهما فادعا وصف الربوبية ان اتاه الله الملك فقال انا احي واميت اقتل رجلا واخلي اخر قد وجب قتله فاكون قد حييته فلم يتنا زعه الرسول صلى الله عليه وسلم في حجاجه ولا نقض عليه شبهته باحتجاجه بل عدل عن جهله الى دليل اخر بغير فعله فقال ان الله ياتي بالشمس الايه فابهته اذ كان قدرته الاترى ان الذي ياتي بالشمس من مشرقها عند الموحدين هو الذي يحيي ويميت نفوس بعد حياتها فلم يبهت الكافر عند ذلك لدخول الشبهه بفعله فلما ذكر ما لا بد فيه ثبت عنده كذلك الامر عند المعاينين للقدره الناظرين بعين اليقين الى اليد القادره اذ ليس الخبر كالمعاينه فصار وجود الشبهات من الشرك الخفي لا يخرجه الا التوحيدات ان تجلى السر بنوره فتحمل النفس كالا شا المحضوره وتجد القلب هناك كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام

ام نحن الزارعون ص

فلان

ع آ

الزارع المنبت

انها قد ارضعتنا وهي كاذبة فقال دعها قلت انها سوداء صغيرة من شنانها فقال كيف وقد زعمت
انها قد ارضعتكما لا خير لك فيها دعها عنك ٥ وفي لفظ آخر كيف وقد قيل وفي حديث آخر
ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى بالولد لابنه وللعاهر الحجر وابطل دعوى اخي عتبة فيه وان كان
منه فلما راى النبي صلى الله عليه وسلم به شبها بينا بعتبة بن ابي وقاص قال لسودة ابنت زمعة احتجبي
منه وهي اخته وان كان قد قضى به لاخيها عبد بن زمعة ثم قال الولد للفراش ستر من الله على عباده
وتشديد الحكم بما اظهر في ولاده ٥ ولذلك احب المتقون في الشبهات الورع وان كانت الاحكام
على الظواهر تتسع فيحسن تركها للتشابه مقاما للورعين واستبراء لدينها وعرضها والدين ٥
فالحلال اسم لما خلت الاثام عنه وهذا احد المعنيين في قوله تعالى وحلائل ابنائكم وهو جمع
حليلة وانما سميت المراة حليلة الرجل والرجل حليلها لان الاثام قد خلت بينهما اي لانها حلال
له وهو حل لها ٥ والوجه الاخر انها سميت حليلة لان العلم حل فيها فهو المعنى الاخر من اشتقاق
معنى الحلال من اسمها ان العلم حل فيه كما حل في الحليلة بالتحليل ٥ والحلال في وصف العلم اسم لما
اباحه الكتاب والسنة يسمى جايزا فصار الحلال ما وجد فيه ثلثة معان سمي مباحا في العلم
وعلم باصل الورع واصل المقتاض به وباصل اصله انه خالص من شبهه ٥ ومضارعه حكم الله في
المعاملة فاذا افتقد احد هذه المعاني الثلث حتى يكون السبب الذي وصل به المقتاض منه معلوما او يكون عين الورع
مجهولة ولم يطابق فيه حكم الشرع في البيع والشرا والهبة بطيب نفس فهذا هو الحرام بعينه ٥

ذكر تمثيل الحرام والحلال وشبهتيهما بصور الالوان وتقريب ذلك للعقول

الحرام والحلال ضدان وهما ظاهران والشبهتان اعني شبهة الحلال وشبهة الحرام خفيتان مشكلان فهي بشبهة الحلال
من وجه وشبه الحرام من وجه او فيهما من معنييهما اختلاط اكثر او متساويين بالخلطة
فمثل الحلال والحرام من اصول الالوان مثل البياض والسواد وهما اصلان ليسا من عين شيء
ولا متولدين من شيء مثلهما كالنور والظلمة اعنيان بالمحو والتبصرا راد الله ان يري عباده عزته
بالليل ورحمته بالنهار ومثل شبهة الحلال كمثل الصفرة لون متولد من البياض ٥ ومثل شبهة
الحرام كالخضرة لون متولد من السواد ٥ فان رايت الصفرة فهي علامة شبهة الحلال رددتها
اليه وحكمت عليها به كما ان الصفرة اقرب الى البياض وان رايت الخضرة فهي شبهة الحرام رددتها
اليه وحكمت عليها به كما ان الخضرة اقرب الى السواد ٥ فان اجتمع في لون صفرة وخضرة فهذا مثل
الشبهات المختلطة في الشيء فانظر الى الاغلب منهما والاكثر فاحكم عليه به فان كانت الصفرة هي
الاغلب والاكثر فهذا شبهة الحلال فيتاول منه غير متسع ولا متقي اذ ليس حلالا صافيا وهذا

خفيتان ظ

مثل الاموال التجار والصناع المختلطة بارزاق الاجناد للمعاملات وان راءيت الخضرة اغلب واكثر
فهذا شبهة الحرام خذ منه ضرورة وتدع حاجة وتتقي اذ ليس يشبهه صافيه وهذا مثل الاملاك اذا وليا
السلطان لا لتباس ملكايديهم في خراجهم لاسرايهم حتى تبين البياض المحض الذي هو علامة الحلال المحض
كيف شيت واتسع فيه لا حرج عليك الا ان تكون زاهدا وهذا ومثل لبن المشركين والغنايم في
سبيل الله ومثل المواريث الطبية ٥ ولما انبتت ارض غير مملوكة ومثل ما السما وسيح الانهار وصيد
البر والبحر ٥ وان راءيت السواد الغريب وهو علامة الحرام فاجتنبه ولا تاخذ منه شيا فان
فعلت كنت بذلك فاسقا ٥ واكل الحرام من الكباير وهذا مثل للغصوب والجنايات وما اكل باسباب
المعاصي باثمان المحرمات وما تملك عن غير طيب نفس الواهب ثم لعلم ان الحلال والحرام فرعان للتقوى
والفجور والعلم والجهل يوجود الحلال وظهوره بكثرة وجود العلم والتقوى وهما حالا المتقين العلما
فاذا كثر المتقون ووجد المومنون كان الحلال اكثر واظهر ووجود الحرام وظهوره بكثرة وجود
الجهل وهما حالا الجاهلين والفجار فاذا كثر الجاهلون وظهر الفاسقون كان الحرام اغلب واكثر
واصل وجود الحلال في الكافة تعدل الايمة واستقامة الولاة وطاعة اوليايهم لله في قيامهم مقيمهم
في سبيل الله لصلاح الدين وحيطة المسلمين ٥ كما ان اصل ظهور الحلال وانتشاره بقوى الرغبة
فاذا اقل ذلك اذ كانت الامرا على ضد ذلك عمض الحلال واختفا وظهر الحرام وفشا ٥ وكان الحلال
قليلا عزيزا وصار في خصوص من المسلمين يختص الله به من يشا ويوفق له من شا ويصرفه الى من
احب عفيف احب ٥ وقد روي عن عايشة رزق المومن مثل قطر الحيا فهذا يحتمل معنيان احدهما انها
اراد ان في الشيق والقلة والثاني في الصفا وهذا على معنى ما قال سهل لو كانت الدنيا دما معبطا
كان رزق المومن فيها حلالا لا نهذا على معنيين احدهما ان المومن موثق معصوم فتعمل الله بما يعلم
فالله سبحانه قد حفظه من حيث لا يعلم بان يستخرج له الحلال من الحرام باختياره عن علمه كما
يستخرج له العلم من الجهل والتوحيد من الشرك والذكر من الغفلة والزهد من الرغبة تخصيص
من رحمته وتلطيفه من حكمته والمعنى الثاني ان المومن عند لا يتناول الا شيا الا فاقة
وضرورة فقد حلت له وان حرمت على غيره ٥ وهذا هو المومن الصديق ٥ وقد قيل لابن المبارك
يظهر بعد المايتين عمر فقال تذاكرنا ذلك عند حماد بن سلمة فغضب وقال ان استطعت ان تموت
قبل المايتين فمت فانه تحدث في ذلك الزمان امور عجرة ودورا ظلمة واسنا خونة وتوافقة
حميثهم فيما بينهم الفاجر يسمون عند الله الايتان ٥ وقال بعض السلف اني لاستحي من الله
ان اساله بعد المايتين ان يرزقني حلالا ولكن اساله ان يرزقني رزقا لا يعذبني عليه ٥ وكان
ابرهيم بن ادهم رحمه الله يقول ما ترك لنا بنو فلان من الحلال شيا يعني الامرا ٥ وقد
روينا ان عليا عليه السلم لما دخل بعد قتل عثمن وذهب الدار طعاما الا محتوما ٥ وعن جماعة
من الصحابة انهم ما شبعوا من الطعام من حين قتل عثمن لاختلاط اموال اهل المدينة بنهب الدار

في قول سهل لو كانت الدنيا دما

في زمن علي رضي الله عنه

فيما لا يوجد حلا ولا يعرف حلا

منهم سعد وأسامة وابن عمر • وقد كان يوسف بن أسباط ووكيع بن الجراح يقولان الدنيا عندنا على ثلثة منازل حلال وحرام وشبهات • فالحلال حساب والحرام عقاب والشبهات عتاب • فخذ من الدنيا ما لا بد لك منه فان كان ذلك حلالا كنت زاهدا وان كانت شبهة كنت ورعا فان كان في ذلك عتاب يسيرا هـ • وقد روينا عنهما ايضا قالا الزهد اخذ الدون من الحلال كما ان الورع اخذ الوسط منه وقال الزهد عندنا اتيان ما هو في الحلال المحض والحلال المحض لا نعرفه اليوم • ومات بشر ووكيع قبل الماتين • وقد كان وكيع بن الجراح رحمه الله اشبه العلماء بالسلف الصالح كان يشبه بعبد الله بن مسعود وكان شيخا لاحمد بن حنبل كان يفضله ويرفع من قدره وكان يشدد في الطعمة فسئل عن الحلال فجعل يعزز ويقول ابن الحلال ويقلنا بالحلال ثم قال لو سألنا مستر شد عن علمنا في الحلال لقلنا له كل اصول النبود والتي توبك وادخل في القرات قيل له فانت يا ابا سفين من اين تاكل فقال اكل من رزق الله وارجو عفو الله • وقد كان بشر بن الحرث من المتقدمين عن الحلال فقيل له من اين تاكل يا ابا نصر قال من حيث تاكلون ولكن ليس من ياكل وهو يبكي مثل من ياكل وهو يضحك • وقال مرة في رواية اخرى عنه ولكن بيد اقصر من يد ولقمة اصغر من لقمته • وسأله رجل عن ما لا يسكر من النبيذ فقال انظر ثمن الدرهم الذي يشترى به التمر من اين هو فان كان حلالا والا فلا تعد ما لا يسكر • وقد كان سري السقطي يحترز في اكل الحلال ولم يكن ياكل الا من حيث يعرف • وكان اذا ذكر لاحمد بن حنبل يقول ذاك الفتى المعروف بطيب الغذا وقد كان بشر ياكل من قبله • وذكر لنا ان سريا وقف على بشر وهو يتكلم على الناس فاطلع في حلقته فقال يا ابا نصر ان بشرا الشيخ لم يرد الا خيرا فقال سبحان الله هو سري كما سمي سريا • وحدثونا عنه قال اتتهيت ذات يوم في سفري الى بيات من الارض عذبة عذيبة ما وكنت جايعا فاكلت من ذلك الحشيش وشربت من الغدير بكفي ثم استلقيت على ظهري فجعلت اقلب ان كنت ذات يوم اكلت حلالا الا هذا اليوم فهتف بي هاتف يا سري زعمت انك قد اكلت حلالا فالتوى التي بلفتك الى هذا الموضع من اين هي قال فما استغفرت الله عز وجل بما كان وقع في قلبي • وقد كان شقيق بن ابرهيم البلخي يقول ان المكاسب اليوم قد فسدت وان التجارات والصنايع كلها شبهات ولا يحل الا استكثار منها لوجود الغش وعدم النصح • قال وانما ينبغي للمسلم ان يدخل فيها ضرورة • وقال ان الناس كفتهم الانبيا لانهم اعانوا على اماتة السنن ودروس طريق الاخرة ومن ابطل سنة بنى وقطع طريق فكانه قد قتله هذا بقوله في سنة تسعين ومايتين فاذا كان الامر اليها المسلم المؤمن برعد الله ووعيده على هذا عندنا العلما وصالحي السلف الاخيار من الخلف في ذلك الوقت فكيف بوقتنا هذا فقد افترض عليك الزهد في الدنيا وقد وجد عليك اخذ البلغ مما لا بد منه من كل شيء من حيث تقدر الحلال وضاقت مكاسبه فان استكثرت او جمعت من مثل هذه الاسباب كان ذلك معصية • وكلما يظهره الله لك من غير الامور

وبدقات المعايب فاتمامه وتشهيد لك في البنيان ان فطنت وكلما صرف عنك وقال للكسر مثل هذا فهو خيره اي وحسن نظر فان كرهت ذلك وطلبت الاتساع لان كل ما يفضل من الشر فهو خير كيف وقد جاشامه في الخبر ما ملا ابن ادم وعاء شرا من بطن حسب ابن ادم لقيمات يشددن صلبه فان كان لا بد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث للذكره فقد هان الاكل في ثلث البطن خير من لا • وفي الخبر ما من بطن ابغض الى الله من بطن شبعان وان كان من حلال • وفي الخبر لا تحاسب الله عبدا كان رزقه في الدنيا قوتا • وفي قوله تعالى ورزق ربك خير وابقى قيل قوت يوم بيوم • وقد كان المسلمون يرعون عن الشبهات في وقت العدل ومع وجود الفضل حدثونا ان فضيل بن عياض وابن عيينة وابن المبارك اجتمعوا عند وهيب بن الورد بمكة فذكروا الرطب فقال وهيب هو من احب الطعام الي الا اني لا اكله قيل له لم قال لانه قد اختلط رطب مكة بهذه البساتين التي اشتروها هؤلا يعني زبيد. واسبابها فقال له ابن المبارك رحمه الله ان نظرت في مثل هذا ضاق عليك الخبز قال وما سببه قال اني نظرت في اصول الضاع بصرفا فاذا اختلطت يا صوا فقال فعلى وهيب فقال له سفين ما اردت الى هذا تقلت الرجل فقال ابن المبارك والله ما اردت الا ان اهون عليه فلما افاق قال لله علي ان لا اكل خبزا ابدا حتى الفاه قال وكان يشرب اللبن فاتته امه بلبن فقال من اين لك هذا قالت من شاء بني فلان قال ومن اين لهم ثمنها قالت من كذا فرضيه فلما ادناه من فيه قال قد بقي شي اين ترعى هذه الشاء فسكتت قال لتخبرني فاذا هي ترعى في موضع لم يرضه فقال هذا ابن للمسلمين فيه حق لا تحل لي دونهم وهم شركاء فيه فقالت امه اشربه فان الله يغفر لك فقال ما احب اني شربته وانه غفر لي قالت له اكره ان انال مغفرته بمعصيته • وقد كان سهل يقول رجل بات في قرية جايعا نادم الى الغدا لم يقدر ان يصلي من الجوع اخطا الله في ميزانه جميع صلاة المصلين والقايمين في قريته قيل وكيف ذلك قال طلب الحلال فلم يجد فصبر ان يدخل جوفه شبهة فبات طاويا جايعا فلذلك اجر القايمين في تلك القبله • وكان خلد القسري لما ولي بعد ابن الزبير اجرى نهرا في طريق اهل اليمن الى مكة فكان طاوس ووهيب بن منبه اليمانيان اذا مرا عليه لم يتوضا وادبهما ان يشربا منه • وقد كان سليمان التيمي رحمه الله يترك اكل الحنطة فقيل له في ذلك فقال من قبل انها تطحن على هذه الارحا قيل له وما تكره من طحن الارحا قال المسلمون شركا في الماء هو لا ياخذون خرجها دون عامة الناس • وحدثت ان امراة اهدت الى بشر بن الحرث سلة عنب فقالت هذه من ضيعة ابني فوردها فقالت سبحان الله تشكك في كرم ابني وفي صحة ملكه وشهادتك مكتوبة في كتاب الشرا فقال صدقت ملك ابيد صحيح ولكنه افسد الكرم قالت بما ذا قال بسقية من نهر طاهر يعني طاهر بن الحسين لا بعبد الله بن طاهر صاحب المامون • وهذا النهر هو الخندق المفترض في الجانب الغربي لم يكن يشرب منه ولا يسقى على الحسبة • وقد كان يقول منذ ثلثين سنة اشتهي شوا وما اتركه زهدا فيه ولو صح لي

في العدل والاحسان من وجه غريب

وفي قول ابن المبارك

في رواية عن ابي بكر رضي الله عنه

في اموال التجار والصناع والمصرفين في المعايش المباحة الخ شبهة

وغير ذلك حرام

درهمه لا كلته فهذه سنن المتقدمين وطريقة السابقين من سلكها الحق بهم وكان نجاحهم من خالفها لم يخل في درجتهم وتسعه رحمة الله الواسعة بمشيته السابقة ما عتبوا يا اولي الابصار وقد كان من سيرة القدماء خلاف الورعين ان لا يتوسعوا في الحلال خشية ان يتوسعوا في الحلال فيقع في الشبهة فانه يقال من استوعب الحلال طمح حول الحرام وكانوا يستحبون ان يتركوا بينهم وبين الحرام من جنسه حاجزا من الحلال ومنهم من كان يترك من حقه شيئا ليبيه اخوف لقوله تعالى ان الله تعالى يامر بالعدل والاحسان قالوا فالعدل ان تاخذ حقك وتعطي الحق والاحسان ان تترك بعض حقك وتبذل فوق ما عليك من الحق ليكون محسنا لان الله قد امر بالاحسان كما امر بالعدل لقوله سبحانه حثا على المحسنين حثا على المتقين وهذه طريقة قد جهلت من عمل بها فقد اظهرها حدثونا عن بعضهم قال اتيت بعض الورعين بدين له على وكان خمسون درهما فقال افتح يدك فعددت فيها الى تسعة واربعين فنقص بدله فقلت هذا درهم قد بقي لك من حقك فقال قد تركته اني اكره ان استوعب حقي كله فانع فيما ليس لي وقد كان ابن المبارك يقول من اتقى من تسعة وتسعين شيئا ولم يتق من شيء واحد لم يكن من المتقين ومن تاب من تسعة وتسعين ذنبا ولم يتب من ذنب واحد لم يكن من التوابين ومن زهد في تسعة وتسعين شيئا ولم يزهد في شيء واحد لم يكن من الزاهدين ويعضد هذا ما روي عن ابي بكر عليه السلام كما تتوخى سبعين بابا من الحلال مخافة باب واحد من الحرام وهذا طريق قد مات اهله فمن سلكه فقد احياهم فانا اموال التجار والصناع والمتصرفين في المعايش المباحة بالاسباب الجائزة في العلم مع موافقة الكتاب والسنة فهي شبهات ثم يتفرع نوعين ويكون شبهة حلالا اذا عاملت المتقين واخذت من الورعين ويكون شبهة حراما اذا عاملت قليل الورع والتقوى فاما غير ذلك من اموال الجحود فانه حرام لنفسه ولمخالفته الاحكام به الا المختلط بالاملاك الصحيحة والاسباب الصالحة فانه شبهة ثم يتفسر فتسمير وان كانت اموال السلاطين هي الاكثر فهي شبهة الحرام وان كانت اموال الاجناد الصالحة هي الاغلب فحكمها شبهة حلال الاحكام فما كان من معاملة لهم وكسب لك او عن واسطة بينك وبينهم على اختلاط باموال التجار والصناع في اموالهم ولم تعلم شيئا بعينه ظلما فهو اسهل لدخول السبب المباح فيه ولا واسطة الا يدي الخالطة اما كلها به وما كان ظلما علمته لم ينتفع مباح السبب وهو ايضا حرام لان الاسماء والاحكام انما يوضع على باطن الصحة فاذا علمت البواطن فالله الله في نفسك اطلعها المسكين لمعادك واخلط لدينك فان حسبك لم ينفع ظاهر الشبهة من دينك وطعمتك من ايمانك فان زهدت بذلك فقد نجا وفزت بالدين ونبذت الاحكام فعوذ بالله من سوء القضاء ويقال ان العبد اذا ظفر من العبد بسوء الظن لم يعتوره من عليه في الاعمال وقال قد بلغت حاجتي منك فاعمل الآن ما شئت فلم يعد عليه من اعماله الا الاظلمة في قلبه وقسوة والاضعف في عزمه وفتور في نفسه

الوقف الشريف الاجل الاسعد الاكرم الاوحد المرحوم الحاج محمد افندي ابن المرحوم الحاج احمد افندي الدرويش المدرسة التي انشاها بقسطنطينية سنة ١١٢٣

وحرم التوفيق والعصمة ولم يورث علم الملكوت والحكمة فان كان السبب للمعايش والتصرف في الاسواق على هذه الاوصاف المحمودة وبهذه الشروط المبيونة فانما الحل حالة حافظا لنيته فانه في سبيل الله افعاله واثاره حسنات وكلما تسبب به الى الآخر وكان سؤالا له عليها وطريقا اليها من الدنيا فهو من اجره وكان ازهد في الدنيا من زهد فيها ورفضها الا انه يقضي في تناولها ولا يبالي من اين جاءته واذا خالف هذه الشروط ولم يستعمل العلم في اجراله وفارق التقوى في تصرفه او كان ساعيا للجمع والمنع او للتكاثر والتفاخر حريصا على الدنيا جزوعا على ما فاته منها منوعا لما في يديه لا يبالي ما ذهب من دينه وخسر اذا سلم دنياه ورخ ولا يبالي من اين كسب وفيما انفق همته اخذ الدرهم من اي وجه ظهر وبأي سبب عليه قدر فهذا يتقلب في المعاصي والمكاره ظهرا لبطن متعرضا للمقت من الله يعمل في البعد والهرب منه غير مستعد للهوت ولا متزود للسفر بالتقوى وهو اكل للمال بالباطل قاتل لنفسه مفسد لدينه غاش لاخوانه المسلمين والله لا يصلح عمل المفسدين كما لا يضيع اجر المصلحين وافعاله واثاره سيئات وتركه الفجار على هذا الوصف الخسران وتجارة الآخرة وخيبة ما هذا سبيلا ومن لم يتق الله اصحاب في سعيه لله تعالى في المسلمين في معاملته فمقامه الظلم وحاله الهوى والله لا يحب الظالمين فهذا ما مؤاخذ من جميع تصرفه مفتوض عليه الاناية في جميع تقلبه قبل ان يبغته الموت ويفجاه الفوت فيحصل في حسرة الابد ويلتا الله ظالما ذا هون مصرا على الخطايا وقد قال وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون قال بعض الحكماء الدنيا لجر عجاج والبحار فيه غاصة فواحد يغوص فيخرج درا وهو لا ابنا الآخرة الذين لها يعملون واخر يغوص فيخرج احجارا وهو لاء عمال الدنيا الذين عليها حرصون واخر يخرج سمكا وهو لاء المقتصدون واخر في قعر تقعر فيغرق وهو لاء المطرودون عن الطاعة الى الاسواق كلما ارادوا اعمال البر طردوا عنها الى السوق وشغلوا وقد غرقوا في بحر الخطايا واخذها فسمع الامواج يغلبون بطلب النجاة كلما رفعته موجة طمع في النجاة ثم يغطه موجة اخرى فيخاف الهلكة وهو لاء المريدون للاستقامة في زماننا هذا يرتفعهم التوبة الى النجاة ويخفضهم العادة الى الهلكة واوحى الله الى بعض انبيائه لا تحدثوا الاهل والمال في زمن العقوبات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحدثوا الضيعة فترغبوا في الدنيا

في التمثيل

في الوحي والحديث

آخر كتاب قوت القلوب

الحمد لله رب العالمين وسلام على عباده الذين اصطفى وصلى الله على سيدنا المرسلين محمد النبي وآله واصحابه وسلم تسليما

وفرغت من تحرير هذا الكتاب محمد بن الحسن بمنصور يوم الاربعاء وقت العصر عاشر شعبان من سنة سبعين وخمسمائة حامدا ومصليا

نهاية المخطوطة